مركز براثا للدراسات والبحوث
Baratha Center for Studies and Research

مقالات

تحليل اللّاموقف
في ضوء "نظريّة المقاومة"

محمّد علي بردى

٢٠٢٥

www.barathacenter.com

تحليل اللّاموقف في ضوء «نظريّة المقاومة»

محمّد علي بردى

الآراء المطروحة لا تعبر عن رأي المركز بالضرورة

© جميع الحقوق محفوظة للمركز

٢٠٢٥

مَركزُ بَراثا للدّراسَاتِ وَالبُحوثِ

بيروت - بغداد

Baratha Center for Studies and Research

www.barathacenter.com

barathacenter@gmail.com

تحليل اللّاموقف في ضوء "نظريّة المقاومة"

محمّد علي بردى[1]

ملخّص

منذ بداية الإبادة الجماعيّة في فلسطين بعد عمليّة «طوفان الأقصى» في السّابع من أكتوبر عام ٢٠٢٣، مرورًا بمرحلة الإسناد ووصولًا إلى الحرب في لبنان، اتضح أنّ هناك قضايا مفتاحيّة على المستوى الفكريّ والأيديولوجيّ تحوّلت إلى موانع استراتيجيّة على أرض الواقع، وأنّه كان لهذه القضايا رجحانًا ظاهرًا في عقل المعنيّين ووجدانهم بالصّراع القائم؛ بحيث انحصرت ثمار القوّة النّاعمة التي راكمها محور المقاومة في فترة ما قبل الحرب بمن سلم من لوازم تبنّي هذه العقائد والأفكار التي أدّت إلى «اللّا موقف»، وهم قلّة قليلة. في هذه المقالة، أحاول أن أُشير إلى بعض هذه القضايا في سبيل تحليلها على ضوء «نظريّة المقاومة» للإمام الخامنئيّ حفظه الله.

كلمات مفتاحيّة: المقاومة، اللُّعبة الطّويلة، حزب الله، الاستكبار، الإمام الخامنئيّ، طوفان الأقصى، أمريكا

١ - باحث وكاتب سياسيّ.

أولًا: مسلكان أمام الشّعوب

بعد التَّغيُّرات السياسيّة وتطوّراتها التي تمسّ بالمصالح الأمريكيّة الإمبيرياليّة، بات من الواضح أنّ فكرة الحياد لم تكن يومًا فكرة واقعيّة، وأنّ الـدّول والشّـعوب لطالما كانت أمام خيارين ومسـلكين؛ إمّا أن تتبنّى مسـلك «اللُّعبـة الطّويلة»، والذي يُراد به المسـلك القائم على مبدأ «اسـبح مع التَّيَّار، تصل»؛ بحيث تقبل الدّول والشّعوب بالهيمنة الأمريكيّة وتنضمّ إلى النّظام السّياسيّ العالميّ على أمل أن يتمّ تجميع أوراق قوّة كافية لإعادة الحقّ إلى أهله، ولو شيئًا فشيئًا، أو التَّخلِّي عن القضيّة الحقّة بشـكل كامل ومواكبة الواقـع بتحوُّلاته ومقتضياته من موقع قوّة.

هذا بالنّسبة إلى المسلك الأوّل؛ ويقابله مسلك آخر، وهو مسلك المقاومة الذي يرى محور المقاومة بقيادة الإمام الخامنئيّ أنّه الطّريق الصّحيح، والمنهج الواقعيّ في حفظ الحقوق وضمان السّيادة وتحرير الأرض وتحقيق الأمن والاستقلال، ونحوها من الأهداف المحقّة.

ثانيًا: مباني «نظريّة المقاومة»

يبيّن الإمام الخامنئيّ أُسُس ومباني هذا المسلك بشكل مختصر؛ حيث يلخّص «نظريّة المقاومة» بالنّقاط الآتية:

١. إنّ المقاومة ردّة فعل طبيعيّة للشّعوب الحرّة مقابل من يريد أن يهيمن عليها.

٢. إنّ الذي يجعل العدوّ يتراجع هو المقاومة وليس الخضوع والاستسلام.

٣. في الوقت الذي لا تخلو المقاومة من تكاليف فإنّها لن تكون أعلى كلفةً من الاستسلام.

٤. إنّ مقتضى الوعد الإلهيّ أن ينصر السّائرين على درب المقاومة بحسب ما ورد في القرآن الكريم، كما في قول الله -جلّ جلاله-: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

٥. إنّ المقاومة أمر ممكن من ناحية الحسابات العمليّة، فهي ليست أمرًا مستحيلاً كما تحاول جبهة الاستكبار أنْ تصوّرها.[١]

ثالثًا: بين الموقف واللّا موقف

رأينا هذين المسلكين يتجلّيان في الحرب بشكل واضح؛ حيث كانت

١ - راجع: الإمام الخامنئيّ: نظريّة المقاومة، ص١٩-٢٢

المواجهــة بين القوى التّابعة لمحور الاســتكبار العالمــيّ من طرف والقوى التّابعــة لمحــور المقاومة في الطّــرف المقابل. ولا مجال في هــذه العجالة لاستعراض جميع الأدوار لمختلف القوى من الطّرفين. ولذا، سنكتفي ببعض الأمثلة الجامعة مع بعض الإشارات إلى النّكات الأيديولوجيّة التي أدّت إلى تحقيق الموقف أو اللاّموقف:

١. دور المقاومة الإسلاميّة في لبنان

لا شــكّ أنّه كان لحزب اللــه الدّور الأبرز في هذه الحرب على مســتوى مساندة المقاومة الفلســطينيّة والدّفاع عن قضيّة فلسطين. لا ينبغي أن يُنسى كيف هزّ العالم خبر دخول الحزب إلى المعركة، لا سيّما وقد كانت الحشود في الضّاحية الجنوبيّة لبيروت تمشي في الشّــوارع ليلة بدء الإبادة الجماعيّة تطلب من سيّد شهداء الأُمّة السيّد حسن نصر الله – أعلى الله مقامه الشّريف – المبادرة وإعانة أهل غزّة. لكنّ التّاريخ سيخلّد هذا الدّور للحزب ليس لأنّه انتصر لغزّة فحســب، ولا لأنّ الحــزب كان أوّل المبادرين لذلك. بل تكمن عظمة ما قام به الحزب في أمرين:

أ. إنّ حجــم تصدّيه وعمــق دخوله إلى الحرب كان أشــبه بدور أُمّة بكاملها فعليًّا. مثلاً، لاحظوا أنّه من النّاحية الفقهيّة، يقول الفقهاء: «إنْ خيف على بعض بلاد الإسلام من بعض الكفّار أو المحاربين، وجــب على أهل كلّ إقليم قتال من يليهم ودفعه عن دار الإيمان،

وعلى قطان البلاد النّائية عن مجاورة دار الكفر أو الحرب، النّفور إلى أقرب ثغورهم، بشرط الحاجة إلى نصرتهم، حتى يحصل بكلّ ثغر من أنصار المسلمين من يقوم بجهاد العدوّ ودفعه عنه»[1].

فالمسؤوليّة هي مسؤوليّة أُمّة في الأصل، وبذلك يتّضح أنّ حزب الله لم يكن يمثّل خطّ الدّفاع الأوّل عن الأُمّة فحسب، ولا كان تدخُّله يشكّل جبهة بالمعنى المتعارف، بل ضمّ في موقفه كلّ ما يقع على عاتق الأُمّة من جهة الدّفاع شرعًا وإنسانيًّا.

ب. بصيرته طوال فترة ما قبل هذه الحرب، الأمر الذي يعيد التّأكيد على قيمة شهداء وتضحيات حزب الله إنْ في هذه الحرب أو في حرب سوريا، بل وحرب تمّوز عام ٢٠٠٦. فإنّ المؤامرة قائمة منذ تلك المرحلة، وقد صرّح بذلك بعض الكتّاب الأمريكيّين آنذاك؛ إذ قالوا: «بالنّسبة إلى الولايات المتّحدة، الهدف الأوسع هو خنق محور حزب الله وحماس وسوريا وإيران»[2]. إذًا، كان القضاء على محور المقاومة من أولويّات الولايات المتّحدة منذ حرب تمّوز، وكان دخول الحزب إلى سوريا يهدف إلى إحباط هذا المخطّط والحفاظ على الأرضيّة اللّازمة لاستمرار بناء المحور

١ - أبو الصّلاح الحلبيّ: الكافي في الفقه، ص٢٤٦-٢٤٧

٢ - Strikes Are Called Part of Broad Strategy, The Washington Post

وتعزيز قدرات قـوى المقاومة في المنطقة اسـتعدادًا للمواجهة الكبرى. وما قدّمته المقاومة الإسـلاميّة في لبنان في سـبيل هذا الهدف الاسـتراتيجيّ الأعـمّ دليل واضح على اسـتيعابها لأبعاد الصّراع منذ تلك الفترة.

٢. الانقسام في الشّارع السُّنِّيِّ

ما قام به حزب الله طوال فترة الإسـناد أقام الحُجّة على الأُمّة في وجوب الدّفاع عن المستضعفين والمقدّسات في فلسطين ومنع العدوّ من الاستمرار بما يرتكبه مـن جرائم. وعندما انتقلـت الجبهة الرّئيسـة إلى لبنان، خاضت المقاومة الإسـلاميّة مواجهة لا مثيل لها في التّاريخ ضدّ تحالف دوليّ يقاتل إلى جانب العدوّ الإسرائيليّ. والخسائر التي تكبّدها حزب الله والتّضحيات التـي قدّمها – كقـوّة إقليميّة لها الحقّ في وضع توقيـت لحرب بهذا الحجم وفقًـا لحسـاباتها، وبلحاظ أولويّاتهـا ومصالحها، أو انطلاقًا من تشـخيص رأس الهـرم في قيادة محور المقاومة كما هـو المتوقّع بطبيعة الحال – كانت علامـات واضحة على مدى جدِّيَّة المعركة وصـدق نوايا الحزب فيما يرتبط بالقضيّة الفلسـطينيّة أيضًا. حصـل كلّ ذلك بتغطية إعلاميّـة لا تترك مجالاً لتعدُّد السّرديّات، فلم يبقَ أمام الأُمّة الإسلاميّة عذر، ومع ذلك لم تلتحق دول المنطقة بجبهات المقاومة ولم تدخل المواجهة.

واللّافت للنظر أنّ الشّعوب المسلمة أيضًا لم تبادر إلى نصرة أهل فلسطين،

ولم تضغـط على حكّامها بالقدر الـكافي لتحويل «الإدانة» إلى موقف جازم يضع العدوّ عند حدّه. فانقسم الشّارع السُّنِّيَّ إلى ثلاثة أضراب من النّاس:

أ. من لا حيلة له نتيجة العجز المتراكم على مرّ التّاريخ.

ب. من يبرّر تركـه لواجب الدّفاع بـ «غطاء شرعـيّ» كحُرمة الخروج على الحاكم الجائر أو أولويّة القتال ضدّ الشّيعة.

ج. من لا يعذّب نفسه بالاختباء وراء مثل هذه الذّرائع، بل يعلن تأييده لمشروع التّطبيع بلا تردّد.

أمّا الصّنف الأوّل والثّاني، فخلفيّته هو تبعيّة المؤسّسـة الدّينيّة للسّـلطة وتحوّلهـا إلى أداة بيـد الحاكم يتـمّ تغييبها أو تفعيلها بحسـب مـا تقتضيه المصلحـة. وأمّا بالنّسـبة إلى الصّنف الثّالث، وهم الذيـن لا يتبنّون القضيّة الفلسطينيّة أصلاً، بل يعتبرون أنّ مرحلة مقاومة الاحتلال من تاريخ العرب قد انتهت، وأنّ المطلوب هو القضاء على كلّ ما يزاحم الاتّجاه السّياسيّ الدّاعي للتّطبيع، فلا حاجة لنا فيل تحليل خلفيّات هذا «الرّأي»؛ لأنّه في الحقيقة عداء وخصومة للمقاومة، وليس لونًا من ألوان اللّاموقف.

٣. اليسار العالميّ والبدائل الثّوريّة

أمّا اليسار العالميّ، فرغم كونه معنيًّا بالمواجهة، ورغم ما يضمّ من مختلف حركات المقاومة، لم يسـتطع أنْ يقدّم شيئًا للمقاومة الفلسطينيّة على المستوى العسـكريّ والإسـتراتيجيّ، ولم يكن له أيّ وزن في المعادلـة الميدانيّة في هذه

الحـرب، لا في فلسـطين ولا في لبنان ولا في أيّ جبهة مـن جبهات المقاومة، الأمر الذي يدلّ بوضوح على خلل كبير في الوعي الثّوريّ لدى اليسار العالميّ. والسّـبب في ذلك هو أنّ حركات اليسـار لم تهتمّ ببناء القوّة الأمنيّة والعسكريّة، وإنّما اكتفت بما يؤثّر على الثّقافة العامّة كالوصول إلى الطّبقة الأكاديميّة، وتعزيز الحضور الإعلاميّ، وتنظيم التّظاهرات التي كان جُلُّها سـلميّةً، وإقامة حملات توعويّة وقانونيّة. ولا يخفى أنّ جميع هذه الأسـاليب تتماشى مع قواعد «اللُّعبة الطّويلـة»، في حين أنّ هذه القواعد تضعها قوى الاسـتكبار مـن أجل التّحكُّم بالأُفُق الثّوريّ لدى خصومها، لكنّها بنفسـها لا تؤثّر على الصّعيد الإستراتيجيّ. وبتعبير آخر، ما كان من أسـاليب «المواجهة» موافقًا لقواعد اللُّعبة الطّويلة التي تفرضها دول الاستكبار لا يصنع المعادلات، بل غالبًا ما يصبح أداةً لإلهاء وتحييد الشّـعوب والأحرار عن المسـلك الذي يهدّد مصالح العدوّ حقيقةً. ولذا، غاب هؤلاء الذين وثقوا بعدالة اللُّعبة الطّويلة عن السّاحة في «اللّحظات المصيريّة»..

رابعًا: علاقة المقاومة باللّحظات المصيريّة

في حديثه عن عاقبة الشّعوب الغافلة عن عنصر الدّفاع والمقاومة، يشير الإمام الخامنئيّ إلى هذا المفهوم، وهو أنّ عدم الاسـتعداد قد يؤدّي إلى عدم القدرة على التّحرُّك أو التّأثير في الوقت المناسب. يقول -حفظه الله-: «من واجب الشّعوب أن تكون جاهزة ومستعدّة من أجل حراسة نفسها، والدّفاع عن كيانها وعزّتها وهويّتها.

الشّـعب الذي يغفل عن هذا الشّيء سوف ينهار ويُدمَّر. والشّعب الذي لا يستطيع إدراك حاجته للدّفاع والصّمود والمقاومة في الوقت المناسـب سوف يُسحق»[1].
فمن جهة يؤكّد السيّد القائد على أهمِّيَّة الدّفاع والمقاومة، وعلى وجوب الجهوزيّة والاستعداد، لكنّه يذكر السِّرَّ في ذلك أيضًا؛ حيث يشير إلى أنّ معيار هذا الاستعداد والوعي المقاوم هو تجلّيه في الوقت المناسب. وبتعبير آخر، إنّ للمقاومة موعدها الذي لا بُدَّ للجهوزيّة الدّفاعيّة أن تُوظّف فيه؛ إذ أنّ تلك اللّحظات - والتي يُعبرّ عنها بـ «اللّحظات المصيريّة» - من شأنها أن تحدّد مصير كلّ شعب وقضيّة.

خامسًا: دور القيادة في تحقيق الموقف

كما أنّ هـذا يؤكّد عـلى موقعيّة القيـادة في نظريّة المقاومـة، فالنّموذج القيـاديّ له مدخليّة في تحديد البوصلة وتشـخيص المصالح ونظم الأُمور، وله علاقة بمنع الشّعب والأُمّة من الانحراف، والميل إلى الأهواء، والانخداع بوعود قوى الاسـتكبار وما شابه ذلك. والمتأمّل في خلفيّات اللاّ موقف، لا يتردّد في أنّ مرجع تفشّي حالتَيْ العجز والاستسلام إلى الانفكاك عن القيادة الشّرعيّة في الواقع. وإلاّ فدوننا قوى المقاومة، إنْ في الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران أو المقاومة الإسلاميّة في لبنان أو حركة أنصار الله في اليمن أو المقاومة

١ - الإمام الخامنئيّ: نظريّة المقاومة، ص٣٢٦

الإسـلاميّة في العراق، التي كان يربط بينها عنصر القيـادة. وهذا من أوضح أسـباب نجاحها وتطوُّرها ووحدة خطابها وتصدّيها لكسر الصّمت العالميّ وأداء واجب الدّفاع عن فلسطين. لا يمكن القول إنّ هذه مجرّد صدفة، بل هي نتيجـة طبيعيّة لتحرُّر الموقف الشّرعيّ والفطريّ من قيود حاكميّة الطّاغوت. لقـد كان موقف قوى محور المقاومة وأداؤهـا نابعًا من بركات هذا النّموذج القيـاديّ بما يمتلك من معرفـة دينيّة وعدالة وبصـيرة وكاريزما والتفات إلى ضرورة التَّهيُّؤ وعدم الغفلة عن مكر الأعداء.

نعـم، يمكن القول إنّ الإمام الخامنئيّ يرى شـيئًا من الخصوصيّة لرجال الدّيـن في هذا المجال، وهو الصّحيح كما تبيّن في هذه الحرب، وإنْ كان له مؤيّدات تاريخيّة كثيرة يشير إليها الإمام الخامنئيّ من وحي التّجارب الإيرانيّة خاصّـة؛ إذ يقول إنّه حتى قبل الثّورة الإسـلاميّة لم يكن في إيران أيّ مركز أو قطب يسـتطيع تعبئة الشّـعب ما عدا رجال الدّين وحملة راية الدّين وشـعار الدّين، وإنّه «لو لم يكن علماء الدّين في قضيّة الثّورة الدّستوريّة لما حصلت تلك الثّورة ولما انتصرت. وعندمـا أزاح المتغرّبون وعملاء بريطانيا الصّغار في إيران علماء الدّين والشّـعارات الدّينيّة، عاد الاسـتبداد والهيمنة والنّفوذ الأجنبيّ وسيطر على البلاد»[1]. وفي حديثه عن تجربة الإمام الخمينيّ، يشير

١ - الإمام الخامنئيّ: نظريّة المقاومة، ص٢٠٠

إلى أنّه أيقظ المجتمع بتصدّيه، ولهذا «جاء النّخبة والعلماء والمثقّفون وطلبة الحـوزات العلميّة والطّلبة الجامعيّون وشرائح الشّـعب المختلفة، وبمضيّ سنوات عدّة انضمّت كلّ الشّرائح» إلى نهضته العظيمة[1].

وبالتّالي، الذي يمكّن المجتمع بمختلف شرائحه من الدّفاع عن نفسه في اللّحظات المصيريّة هو وجود قيادة ربّانيّة توجّه الأنظار، وتوظّف الطّاقات، وتسـتنهض النّاس في سبيل الموقف اللاّزم. ولكن عندما لا تكون المؤسّسة الدّينيّة مسـتقلّة، ولا يبقى لعلماء الدّين سـلطة في القضايا الكُبرى، وتكون كلمة الفصل للملك والرّئيس، والنّماذج القياديّة التي تحكم بغير ما أنزل الله -جـلّ جلاله-، فمن الطّبيعيّ أن تنحرف البوصلـة وتخسر الأُمّة قوّتها. وهذا يؤكّد على موقع ولاية الفقيه في محور المقاومة ومشروع استنهاض الأُمّة؛ إذ الأساس في الإسلام هو حكومة الدّين لا دين الحكومة، وشتّان بين منهج يقوم على تبعيّة المؤسّسـة الدّينيّة للدّولة، وآخر يقول بوجوب استقلال الحوزات العلميّة عن الأنظمـة، ويتبع أئمّته عليهم السلام في أنّ «الملوك حُكّام النّاس والعلماء حُـكّام على الملـوك»[2]. إنّ ما حصل في هذه الحـرب دليل واضح على أنّ الأوّل يترتّـب عليه موانع خطيرة مثل حرمـة الخروج على الحاكم الجائر، أو ترجيح الاقتتال الطّائفيّ عـلى التّحالف مع قوى محور المقاومة لمجرّد أنّها

١ - الإمام الخامنئيّ: نظريّة المقاومة، ص٢٦٩-٢٧٠

٢ - محمد بن الحسن الطوسي: الأمالي، ص٥٦.

شيعيّة، بينما يترتّب على الثّاني موقف شرعيّ مصون لا يترك مجالاً للفوضى أو للّاموقف من الأساس.

سادسًا: عواقب خوض اللُّعبة الطّويلة

إنّ عنصر الثّقافة له دور أيضًا لا سيّما في معرفة عواقب خوض اللُّعبة الطّويلة. كلّما كان الشّعب منغمسًا في الثّقافة الغربيّة، سواءً في ما تفرضه قوى الاستكبار في إطار الهيمنة، أم ما تصدّره من أفكار وأيديولوجيّات «ثوريّة» لا تزيد الشّعوب إلّا غفلةً وحيادًا[1]، كانت تبعيّته السّياسيّة والاقتصاديّة والأمنيّة للغرب أعمق وأشدّ فتكًا. وهذا ما يريد المجتمع الدّوليّ والنّظام السّياسيّ العالميّ تحقيقه. يلفت الإمام الخامنئيّ إلى هذا الأمر قائلاً: «العولمة تعني الخضوع لثقافة استطاعت عدّة قوى كبرى فرضها على اقتصاد العالم وسياسة العالم وأمن العالم. الخضوع لهذه السّياسة والدّخول في هذا القالب، هذا هو معنى العولمة من وجهة نظرهم. عندما يقولون كونوا عالميّين، وحين يقولون ادخلوا في الأُسرة الدّوليّة، فهذا ما يرمون إليه. إنّها نفس تلك التّبعيّة»[2].

---

١ - يُقصد هنا تصدير العدوّ لأفكار وإيديولوجيّات يسوّقها على أنّها ثوريّة وإصلاحيّة في حين أنّها من جملة برامج الهندسة الاجتماعيّة ومن مصاديق الغزو الثّقافيّ والحرب النّاعمة.

٢ - الإمام الخامنئيّ: نظريّة المقاومة، ص٣١٩

وهـذا النّمط من السّياسـة الخارجيّـة والعمل الدّبلومـاسيّ والعلاقات الدّوليّـة القائمة على أسـاس التّبعيّة هو مـا يتعارض مع مسـلك المقاومة؛ لأنّه لا يحقّق سـيادة وطنيّة حقيقيّة ولا يؤدّي إلى الحُرِّيَّة والاسـتقلال. يقول الإمام الخامنئـيّ: «إنّني أعتقد أنّه في اليوم الذي تقـول فيه إيران إنّها جاهزة لإقامة علاقات مع أمريكا، فإنّ أمريكا حينها سترفض ذلك، وتقول: هذا غير ممكن حتى تقوموا بهذه الأعمال وتقبلـوا تلك الشّروط، وبعدها نبحث في هـذا الأمر»[1]. فالولايات المتّحدة ليس لديهـا حلفاء ولا أصدقاء. بل لديها أدوات ووسائل تسـتغلّها من أجل الوصول إلى القمّة. إنّ العلاقة مع أمريكا والخضـوع للغرب فخّ تقع فيه الدّول والشّـعوب تجنُّبًـا للمواجهة، وطمعًا بالمصالـح الآنيّة والمؤقّتة والقابلة للإلغـاء في أيّ لحظة يجد فيها الأميركيّ أنّهـا تزاحم مصالحه وأهدافه. فالتّبعيّة التي تظنّ هذه الدّول والشّـعوب أنّها تأتي مع ضمانات ليست بالنّسبة إلى قوى الاستكبار إلّا تحييد مؤقّت لخصم محتمل. يشير الإمام الخامنئيّ إلى هذا الأمر قائلاً: «لقد أثبتت أمريكا والغرب مرارًا أنّهم لا يرحمون حتى المستسلمين لهم، وحينما ينتهي تاريخ استهلاك المتعاونـين معهم يقذفونهم جانبًا بكلّ بسـاطة»[2]. ولقد رأينا مشـاهد الذُّلِّ للرّئيس الأوكرانيّ والملكّ الأردنيّ في لقائهما مع الرّئيس الأمريكيّ مؤخرًا.

١ - الإمام الخامنئيّ: إستراتيجيّات السّياسة الخارجيّة، ص٦٣
٢ - الإمام الخامنئيّ: نظريّة المقاومة، ص٣٢٢

اللُّعبة الطّويلة تفترض أنّ الظّالمين والمُستكبِرين قد يحترمون من يخضع لجبروتهم، وأنّهم يرحّبون بالحوار كحلّ أوّليّ، غير أنّ العكس هو الصّحيح. تعتبر قوى الاستكبار خضوع الآخرين فرصة، ولا تلجأ إلى الحوار إلّا عندما تضطرّ لذلك. يقول الإمام الخامنئيّ: «يعتقد البعض أنّنا يجب أن لا نعادي القوى العالميّة ونثير غضبها ضدّنا! هؤلاء الأفراد يغفلون عن أنّ طبيعة تلك القوى هي طبيعة الهيمنة وأنّ نظام الاستكبار العالميّ يشتبك مع أيّ شعب أو نظام لا يخضع لابتزازاته. طبعًا، أُضيف أنّنا نعتقد اعتقادًا حاسمًا بأنّ عناد الأعداء سيستمرّ إلى أن ييأسوا منّا»[1]. فالذي يردع العدوّ هو اعتقاده بأنّه سيواجه مقاومة لا تسمح له بتحقيق أهدافه. وهذا أمر ممكن، كما ذكرنا في الكلام حول مباني نظريّة المقاومة، لا سيّما أنّ العبء الحقيقيّ يكمن في عدم المواجهة؛ لأنّ تبعات الخضوع تبقى على مدى عقود بل قرون في بعض الأحيان.

سابعًا: مسلك المقاومة مبنيّ على التّجارب

يؤكّد الإمام الخامنئيّ أنّ الحسابات الخاطئة قد تؤدّي إلى عدم ثقة الدّول والشّعوب بمسلك المقاومة[2]، وهذا أمر ينبغي الالتفات إليه أيضًا والتّأكيد

١ - الإمام الخامنئيّ: نظريّة المقاومة، ص١٢٦
٢ - الإمام الخامنئيّ: نظريّة المقاومة، ص٢٢

عليه دائمًا. ولا عجب من ذلك؛ إذ أنّ مسلك المقاومة مبنيّ على التّجارب وتصحيح الأخطاء، واللّافت للنظر أنّ الإمام الخامنئيّ يذكر شواهد كثيرة يستفيد منها في مقام توكيد الموقف من اللُّعبة الطّويلة. على سبيل المثال، بالنّسبة إلى الملفّ النّوويّ الإيرانيّ، يبيّن أنّ التّراجع أمام قوى الاستكبار يكون موجبًا لزيادة العجرفة والتّطاول، بينما إراءة العدوّ العزّة والرّوح الإيمانيّة والقوّة والاقتدار والصّمود «بوجههم يتسبّب - باحتمال كبير - في تراجعهم. وقد حدث هذا الشّيء في قضيّة الملفّ النّوويّ. في سنة ٢٠٠٤ و ٢٠٠٥، تمّ تعطيل كلّ منشآتنا. وتعلمون أنّنا ختمنا [بالشّمع الأحمر] مصنع «يو سي أف» (UCF) في أصفهان بسبب المفاوضات التي أجريناها من أجل أن يكون الملفّ النّوويّ للجمهوريّة الإسلاميّة طبيعيًّا وعاديًّا. كلّما تراجعنا إلى الوراء تقدّموا هم إلى الأمام، وكلّما أبدينا مرونة ازدادوا حدّة وشدّة، إلى أن قالوا للهيئة الإيرانيّة إنّ الضّمان الذي يجب أن تعطوه لا يحصل إلّا بصورة واحدة وهو أن تُعطّلوا كلّ منشآتكم النّوويّة»[1]. وهذا عين ما تريد الولايات المتّحدة فرضه حاليًّا، لكنّ الاستفادة من تلك التّجارب أدّت إلى موقف موحّد في إيران اليوم بمواجهة الضّغوطات والتّهديدات الأمريكيّة.

١ - الإمام الخامنئيّ: نظريّة المقاومة، ص٩٨

خاتمة

مــن إيجابيّات هذه الحــرب أنّها زادت المشــهد وضوحًا أمام الــرّأي العام العالمــيّ فيما يتعلّق بإجرام العدوّ الصّهيونيّ وكونه يمثّل امتدادًا لأمريكا، وفيما يتعلّق بالفرز السّــياسيّ والأيديولوجيّ في المنطقة بعد أن تبيّن مَن الذي يحمل راية القضيّة الفلســطينيّة، ومَن الذي يتاجر بها، ويراهن على سقوط المقاومة في لبنان وفلسطين من أجل الاستفادة منه سياسيًّا وأمنيًّا واقتصاديًّا. لا يخفى أنّ نتائج الحــرب وتداعياتها على المنطقة لم تُحســم بعــد؛ إذ المواجهة على الصّعيدين الأمنــيّ والسّــياسيّ في لبنان مســتمرّة، وكذلــك العدوان على اليمــن، وتهديد الولايات المتّحدة الأمريكيّة بالهجوم على الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران.

مــن المهمّ في ظلّ هــذه التَّغيُّرات أنْ نتهيّأ لذكر الأُمــور كما هي، دون خجل أو تردُّد أو مجاملة، لا ســيّما على حســاب الحقّ وأهله. فاليوم، يدور حديث في الأوســاط الشّــيعيّة حول ما حصل، وهناك تســاؤلات كثيرة حول الأســباب التي أدّت إلى هذا الحال. فبحسب الظّاهر، قد شهد مشروع الحضارة الإسلاميّة، وهو المشروع الأساس في خطّ محور المقاومة، تراجعًا كبيراً نتيجة ما تحقّق من إجماع ما يُســمّى بـ «الأُمّة» على عــدم مواجهة العدوّ الصّهيــونيّ، ونتيجة عوامل أُخرى ربمّا تجد الإشارة إليها بين سطور هذه المقالة. إنّ هذا النّقاش آتٍ لا محالة، ولن يخوضه إلّا الجدِّيُّون الذين يرون أنفسهم سُكّان هذه السّفينة وحُرّاس هذه المسيرة.

لائحة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الكتب:

- الحلبـيّ، تقيّ الدّين بن نجم، الكافي في الفقه، مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام العامّة، أصفهان، ١٤٠٣ق.
- محمد بن الحسـن الطوسي: الأمالي، مؤسسـة البعثة، قم، ط١، ١٤١٤هـ.
- علي الخامنئيّ: ، نظريّة المقاومة، دار الثّورة الإسـلاميّة، طهران، ط١، ٢٠٢٠م.
- عـلي الخامنئيّ: اسـتراتيجيّات السّياسـة الخارجيّـة، دار الثّورة الإسلاميّة، طهران، ط١، ٢٠٢١م.

المقالات:

- Robin Wright, Strikes Are Called Part of Broad Strategy, The Washington Post (2006)

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

Baratha Center for Studies and Research
www.barathacenter.com
barathacenter@gmail.com

المشرف العام: الشيخ جلال الدين علي الصغير
مدير المركز د. محمد مرتضى
009613821638